



دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال  
Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

قدمت هذه الورقة في ندوة "دولتا السودان.. فرص ومخاطر" بالدوحة

١٤ و ١٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٢

# دولتا السودان والمحيط الإفريقي بعد الانفصال

د. لوك أوبالا

أستاذ محاضر بجامعة نيروبي ومعلق جيوسياسي



مركز الجزيرة للدراسات  
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES



## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

### Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks



د. لوك أوبالا

كان السودان أكبر دولة إفريقية قبل انفصال الجنوب في التاسع من يوليو/ تموز ٢٠١١ إذ كانت مساحته تقدر ب ٢,٥ مليون كلم مربع. لكن هذا الوضع الجغرافي لم يكن له أي وقع سحري على الوضع العام في البلد حيث تنازعت مشاكلة الفساد واستغلال السلطة ثم الحروب الأهلية. سقط السودان بعد استقلاله في أتون مشاكلة معقدة تمحورت حول الإثنية والعرق والدين لكن خريطته البشرية بقيت متنوعة ما بين غالبية عربية مسلمة تسكن ولايات الشمال بينما ظل الجنوب معقلا للأقلية المنحدرة من أصول إفريقية التي تدين بالمسيحية وديانات إفريقية تقليدية.

ككل الدول الإفريقية حديثة العهد بالاستقلال حاول السودان المضي نحو الأهداف التنموية الكبرى مثل محاربة الفقر والجهل والمرض حتى ولو كان ذلك نظريا. وبدل تحقيق هذه الأهداف الكبرى سقط السودان في أتون حروب أهلية دامت أطولها عشرين عاما، حاصدة ما يربو على مليوني قتيل. كانت هذه الحرب مدمرة وبقيت ملفا حاضرا باستمرار على أجنحة المنظمات الإقليمية والدولية مثل منظمة الوحدة الإفريقية، الاتحاد الإفريقي لاحقا إضافة لمنظمة الإيغاد. عدا عن الموت، خلفت هذه الحرب الأهلية عاهات وتشوهات دائمة لعدد كبير من المدنيين إضافة لمشاكلة النزوح الداخلي واللجوء السياسي. كما تم القضاء على البنية التحتية التي خلفها المستعمر في جنوب السودان على قتلها من خلال القصف العسكري المستمر للمنطقة.

كان الوضع الحاصل في الجنوب يدفع على الأسى حيث لم تكن هناك لا مدارس ولا خدمات صحية بل وأصبح نقص الغذاء هو القاعدة. كما أصبح الموت حدثا اعتياديا، ووجد الشباب الأمل في الانضمام للمليشيات المقاتلة كي يضموا على الأقل حصا غذائية منتظمة ودروسا تعليمية مبتدئة في معسكرات التدريب. وقد بدأ راب الصدع بين طرفي الصراع في الشمال والجنوب مستحيلا؛ لذا كان السودان على شفا انقسام وهذا ما دفع الهيئات الدولية والدول المجاورة للتدخل لمعالجة المشكلة.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

بعد ازدياد عدد القتلى وتنامي مشكلة النازحين واللاجئين زاد قنوط طرفي الصراع. أُجبرت الحرب حكومة السودان على إلغاء جميع مشاريعها التنموية المبرمجة كما واجه زعماء الحركة الشعبية لتحرير السودان ضغوطا داخلية وخارجية لإنهاء محنة السكان في الجنوب ونتيجة لهذه الأجواء بدأت المفاوضات الجدية التي نتجت عنها اتفاقية السلام الشامل بين الطرفين. نصت هذه الاتفاقية على تشكيل حكومة ائتلاف وطني انتقالية تضمن تقاسما عادلا للسلطة بين حكومة الشمال والجنوب في انتظار إجراء انتخابات وطنية كما تضمنت الاتفاقية حكم الجنوب من طرف حكومة انتقالية. تم حكم السودان في هذه الفترة بدستور وطني انتقالي تم تبنيه في السادس من يوليو/ تموز ٢٠٠٥ وتمت صياغته من طرف لجنة مراجعة الدستور الوطني والتي كان تشكيلها بندا من اتفاقية السلام الشامل.

في المقابل اعتمدت حكومة جنوب السودان دستورا انتقاليا في ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٥ الذي كان من الواجب أن تتم المصادقة عليه من طرف وزارة العدل السودانية كي يكون موافقا لبنود الدستور الوطني الانتقالي واتفاقية السلام الشامل. خول الدستور الانتقالي صلاحيات السلطة التنفيذية للرئيس السوداني باعتباره رئيس الدولة والحكومة كما أنه بقي القائد الأعلى للقوات المسلحة. كما تضمن الدستور الانتقالي إحداث منصبين لنائب الرئيس كجزء من السلطة التنفيذية، نائب أول للرئيس ونائب ثاني. في محاولة لتطبيق بنود اتفاقية السلام الشامل والدستور الوطني الانتقالي تم إعطاء منصب النائب الأول للرئيس لرئيس جنوب السودان على افتراض أن الرئيس يكون من الشمال. في هذه الأثناء كانت القوى السياسية الرئيسية في السودان تقتصر على حزب المؤتمر الوطني وتتركز شعبيته في الشمال ثم الحركة الشعبية لتحرير السودان والتي يتركز وجودها في الجنوب.

### أمل رغم القنوط

صاحب توقيع اتفاقية السلام الشامل أمل عند الليبراليين في الشمال والجنوب ببناء السودان موحد، وكانت تلك رسالة الحركة الشعبية لتحرير السودان وقائدها الدكتور جون قرنق، ولكن بعد موته في حادثة الطائرة، وما أعقب ذلك من سوء فهم حول تطبيق اتفاقية السلام





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

الشامل، تغيرت الديناميات وبشدة لدرجة بدا خيار الوحدة مع الشمال مستحيلا. أصبح خيار استقلال الجنوب أكثر حتمية وواقعية إضافة لكونه كان على الدوام الخيار الأكثر شعبية بالنسبة للجنوبيين. ولهذا كان خيار الانفصال مسالة وقت، وقد تحقق الانفصال بمجرد إعلان نتائج الاستفتاء، وكانت التوقعات أن يقود هذا الوضع بداية لسلام دائم بين الطرفين؛ لكنهما يبدو أنهما بعيدان من ذلك. فالطرفان يجدان نفسيهما متورطين في صراعات داخلية لا تكاد تنتهي إلا لتبدأ من جديد. فالجنوب يعاني مشكلة الصراعات القبلية بينما يواجه الجنوب تمردات داخلية في جهات متعددة من البلد، والتوتر يتامى اطرادا بين البلدين. كل هذه الوقائع مجتمعة تجعل فرص السلام الدائم بين البلدين مجرد أحلام. وكلما اقترب تاريخ الاستفتاء كانت هناك آمال بأن تشكل نتيجته مهما كانت فرصة لإعادة بناء البلدين لأنه في كلتا الحالتين -الانفصال أو الوحدة- يتوجب على كل من البلدين صياغة دستور جديد. لذا واجه كل طرف هذه المهمة الشاقة في جو مليء بالتحديات، ووفرت هذه العوامل مجتمعة فرصا حقيقية للبلدين لبناء مؤسسات قوية فضلا عن ترسيخ السلام في السودان. ويشير واقع الإحداث في السودان أنه لا شيء تغير كثيرا بعد استقلال الجنوب حيث لا يزال حزب المؤتمر الوطني الحاكم عاجزا عن معالجة أسباب الصراعات المزمنة في البلد؛ بل انضافت إلى هذه الصراعات مشاكل أمنية وسياسية واقتصادية كما يشير أحد الكتاب. ومما يثير الاهتمام أكثر هو النهج العسكري الذي يواجهه متشدو حزب المؤتمر كل حركات التمرد في السودان.

وتم اختصار النقاش حول التنوع في السودان بتقديم حلول عسكرية لمشاكل ذات من المفترض أن تحل سياسيا. وتوجد مؤشرات ولكن توجد أيضا التزامات حول الهوية العربية الإسلامية لجميع سكان السودان وهذا ما سبب مزيدا من المتاعب للسودان لكونه يطرح الاحتمال بمزيد من التفكك والشرذمة في السودان.

وتبرز عدة تحديات أخرى وسط هذا الصراع السياسي الداخلي الخطير وما يصحبه من اضطرابات إذ ما تزال الحكومة تواجه عجزا خطيرا في الموازنة العامة وتضخما متصاعدا وسط تراجع كبير في مصادر الدخل بما فيها النفط. وتستمر أسعار الغذاء والمحروقات ومواد استهلاكية أخرى في الارتفاع مما يسبب مشاكل جمة للحكومة في السودان مما يضطرها تقريبا لإيقاف جميع مشاريع التنمية في الولايات الهامشية.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### المجتمع الدولي، المحيط الإفريقي ودولتا السودان

يواجه السودان مشاكل جمة مثله في ذلك مثل كل الدول النامية؛ لكن مثلما يلاحظ الكثيرون لا توجد رؤية موحدة لعلاج هذه المشاكل المستعصية. بل اتسمت هذه الرؤية في أحسن الأحوال بالتجزئة والتركيز على البعد الإقليمي أكثر من تركيزها على البعد السوداني الخالص. كما تجاهل المجتمع الدولي والسودانيون إضافة للأطراف الإفريقية الأخرى القضايا الرئيسية المرتبطة بنظام الحكم والتي بقيت في قلب التحديات التي واجهها البلد؛ وحتى السودانيون أنفسهم لم يمتلكوا ما يلزم من الشجاعة لمعالجة الأسباب الجذرية لهذه الحروب التي طحنت بلادهم منذ عقود. وقد هيمن المركز على المقدرات السياسية والاقتصادية للبلد وهمش الغالبية العظمى من السكان مما سبب تفجر بؤر توتر حركها هذا الهامش وأصبحت هي القاعدة في التعامل مع هذا الوضع. وفي هذا السياق تم بذل القليل من الجهود لمعالجة المشاكل المتعلقة بنظام الحكم والهوية وهذا ما يفسر جزئياً سبب استمرار الحرب في دارفور والنيل الأزرق وجنوب كردفان. وفي هذا الإطار يمكن اعتبار انفصال جنوب السودان فرصة للسودان لإعادة بناء نفسه من جديد ولكن هذا يتطلب من السودان اتخاذ رؤية شاملة ومتكاملة لمعالجة القضايا المتعلقة بنظام الحكم.

توجد بالفعل احتمالات قوية للبدء في إصلاح نظام الحكم، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار الضغوط السياسية والاقتصادية التي يتعرض لها حزب المؤتمر الوطني في ظل الصدمة التي خلفتها فقدان عائدات النفط التي ذهبت للجنوب، ثم التهديد القائم للنظام من احتمال قيام انتفاضة شعبية مشابهة لما يحدث في بقية البلدان العربية، إضافة لفشل النظام في إدارة الأزمة التي أدت لتقسيم البلد.

وقد ساهم حضور المجتمع الدولي في الأزمة السودانية في حدوث تغيير كبير، تختلف الآراء في تقييمه، ولهذا تجد الدعوات الموجهة للإيغاد لتبني حل لمشاكل السودان العالقة صدا كبيراً في البلد، أخذاً بعين الاعتبار انفصال الجنوب والذي يتم دائماً طرح اللائحة فيه على التدخل الأجنبي. ويشكل هذا التصور القوة الدافعة الرئيسية في صياغة العلاقة الناشئة بين الدولتين





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

وبقية الدول الإفريقية. وهكذا يتم النظر بايجابية للدور الذي يلعبه المجتمع الدولي إلا أن البعض يعتقد أن هذا الدور يجب أن يقتصر على إيجاد البيئة المواتية لنجاح المبادرات والجهود التي يبذلها السودان لحل قضاياها بنفسه وذلك بدعم الأصوات البناءة الخارجة من الداخل السوداني.

وتشير تقارير إلى الصعوبات التي واجهها المجتمع الدولي للتدخل بصفة بناءة وطويلة الأمد. ولعل سبب هذه الصعوبات هو التواجد الطفيف للمجتمع الدولي والاكتفاء بالاعتماد على المنظمات الإقليمية مثل منظمة الإيغاد والجامعة العربية؛ إضافة لكون الدعم الذي يوفره المجتمع الدولي مرتبط بمعايير محددة تصعب إعادة توجيهها لخدمة معايير جديدة حتى لو أملت ظروف أو ضرورات وطنية.

### الانفصال والمحيط الإفريقي

لعبت الدول الإفريقية دورا محوريا في التوصل لاتفاقية السلام الشامل، وما زالت عضوا فاعلا في طرح قضية جنوب السودان على المجتمع الدولي وشكل هذا الدعم مكسبا كبيرا لدولة جنوب السودان حيث تم الترحيب بالكيان الناشئ من طرف المجتمع الدولي وذلك بسرعة الاعتراف به من طرف الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي وفي نفس الوقت تم الإقرار بأن الجنوبيين سيكونون أحرارا في تحديد مصيرهم بأنفسهم في نهاية المطاف. ومع ذلك كانت هناك ضرورة لضمان أن الشمال لن يعتمد إلى تجديد العنف والمجازر بعد خسارته لمصادر النفط التي تكمن غالبيتها في الجنوب. على هذه الخلفيات التزم المجتمع الدولي بما فيه الدول الإفريقية بمساعدة جنوب السودان وفي هذا السياق يمكن قراءة الاتفاق الأخير بين جنوب السودان وكينيا والذي يقضي ببناء خط أنابيب لنقل النفط إلى ميناء لامو، والذي يضم أيضا بناء مصفاة تكرير في كينيا. يشكل هذا المجهود جزءا من محاولة لدعم الجنوب والتقليل من احتمال نشوب توتر جديد بينه وبين الشمال، إضافة للمخاوف التي القائمة من فقدان الدولة الجديدة السيطرة على أراضيها بسبب الاشتباكات العرقية وهي أمر شائع في الدول الإفريقية.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

ويعتبر طلب العضوية الأخير الذي تقدمت به جمهورية جنوب السودان لنيل عضوية مجموعة شرق إفريقيا خطوة إستراتيجية واعترافا بالدور الذي لعبته دول هذه المجموعة في حل النزاع وإحلال السلام أثناء الحرب مع حكومة الخرطوم. ومن المرجح أن يتم قبول طلب الجنوب بالانضمام لهذه المنظمة بينما رفضت الدول الأعضاء في المجموعة قبول عضوية السودان مما يشير لتنامي عزلة الجمهورية السودانية السياسية والاقتصادية عن دول شرق إفريقيا.

ويضيف انفصال الجنوب الغني بالموارد النفطية آلاما جديدة على محنة القيادة في الشمال إضافة لحرمانها عضوية مجموعة شرق إفريقيا التي تعتبر أكبر وأسرع كتلة نموا في شرق إفريقيا؛ مما سيضطر السودان على الأرجح إلى الاندفاع أكثر نحو الدول العربية. من ناحية أخرى لا زال بإمكان السودان الوصول للأسواق الرئيسية لمجموعة شرق إفريقيا عدا تنزانيا، ويرجع ذلك لكون بعض هذه الدول الأعضاء في السوق المشتركة لدول شرق ووسط إفريقيا "comesa" أيدت انضمام السودان لمجموعة شرق إفريقيا خصوصا كينيا ورواندا انضمام السودان ولكن كن مساعهما دون جدوى.

ومن المثير للاهتمام أيضا هو كون كينيا قد أيدت طلب العضوية الذي تقدمت به دولة جنوب السودان؛ وسبب ذلك هو كون الجنوب تربطه علاقات تاريخية، وسوسيو-اقتصادية وثقافية منذ زمن بعيد ببلدان شرق إفريقيا، لذلك كان هناك إحساس بأن التقدم بطلب لعضوية المجموعة لا يعدو كونه إضفاء لصفة الرسمية على هذه الروابط التقليدية القائمة بالفعل بين الجنوب والدول الأعضاء في المجموعة. وتتنوع الفوائد التي سيجنيها الجنوب من عضوية هذه المجموعة؛ إذ تمتد لتشمل مختلف القطاعات كالتعليم وتطوير البنى التحتية والإصلاحات الأمنية.

يحظى جنوب السودان بأهمية خاصة بالنسبة لكينيا في عدة قطاعات منها الاقتصادي والاجتماعي وكذلك القضايا السياسية، علاوة على كون كينيا كانت حاضرة في الصراع القائم في الجنوب سواء بدعم اللاجئين أو بالوساطة أثناء عملية السلام التي كانت مدعومة بقوة من دول الإيغاد. ومع استقلال جنوب السودان ظهرت أهمية استمرار التعاون بين السودان وبقية





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

الدول الإفريقية لتعزيز التعاون في مجال التجارة، الزراعة، الاستثمار، بناء القدرات وتطوير البنى التحتية من بين أمور أخرى. ولم يتوان الجنوب عن استغلال هذه الفرص حيث انضم لعدة مبادرات للتعاون مع الدول الإفريقية الأخرى من بين تلك المبادرات ما يقال عن خطط جارية لتمكين جنوب السودان من تصدير نفطه وبضائعه من خلال المنافذ البحرية لدول الجوار مما يخفف شدة التوتر بين السودان ودولة الجنوب. في غضون ذلك يستمر جنوب السودان في تطوير علاقات قوية مع الدول الإفريقية بل وحتى مع دول في قارات أخرى وككل الدول في العالم تعتبر المصالح الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية للبلد هي الدافع الرئيسي من وراء هذا الأمر.

وفي نفس الوقت كسبت دولة جنوب السودان العضوية الكاملة في كثير من التجمعات الإستراتيجية، كمبادرة حوض النيل، ويشترط في الدول المنضمة للمبادرة الحرص على التعاون مع جميع الدول الأعضاء ويتضمن ذلك الالتزام باحترام حق الدول الأعضاء في استخدام المصادر المائية بما لا يضر بالنمو الاقتصادي لأي دولة عضو في المبادرة وهذه مسألة حاسمة باعتبار الفترة التي قدم فيها الطرفان طلبي عضويتهم تزامنت مع النزاع القائم بين أثيوبيا ومصر حول استغلال مياه حوض النيل.

رغم أن النزاعات الحدودية أمر شائع بين الدول إلا أن النزاع القائم بين السودان وجنوب السودان يعتبر الأكثر إثارة للجدل نظرا للعلاقة المتوترة أصلا بين البلدين فضلا عن توفر النفط في أجزاء من المناطق المتنازع عليها. وتحرص الدول الإفريقية ممثلة بالاتحاد الإفريقي على حل هذه النزاعات الحدودية خصوصا منطقة أبيي ولكن رغم النفوذ السياسي للاتحاد الإفريقي تبقى مشكلة أبيي محل نزاع قوي وهذا ما يفسر حرص الاتحاد الإفريقي على إيجاد حل لهذه الأزمة لنزع فتيل التوتر على طول الحدود بين الشمال والجنوب والتي تعتبر أحدث حدود دولية بين البلدين. في هذه الأثناء تم قبول جنوب السودان في عضوية الاتحاد الإفريقي كعضو الـ 54 في المنظمة وتبقى الدول الإفريقية مضطرة في أي وقت للتدخل من جديد في قضايا الحدود مع حذر الدول الإفريقية من التدخل بطريقة انفرادية لمعالجة هذا الأمر لهذا تعمل هذه الدول مجتمعة ومنفردة لإيجاد صيغة حل ودي للنزاع القائم بين الدولتين. وهذا ما يجعل إيجاد حل





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

بوساطة الدول الإفريقية والمجتمع الدولي المسألة الأكثر إلحاحا في قضية النزاع القائم. علاوة على ذلك سيتطلب حل النزاع الحدودي القائم دعما إنسانيا أخذًا بعين الاعتبار حالة الدولتين، وسيهيئ هذا الأمر التربة لإحلال سلام حقيقي بين المجتمعات القاطنة على طول الحدود مما يصعب إمكانية استغلالها لبدء مناوشات حدودية وبالتالي توفير تربة خصبة لنشوء حرب من جديد.

كما تتأثر العلاقات بين البلدين بشكل كبير بشركائهم الاقتصاديين مثل الصين التي نادرا ما تعبر عن أي موقف سوى إصرارها على ضرورة التعايش السلمي بين البلدين. في الوقت نفسه يلتزم المجتمع الدولي بإلزام الطرفين باحترام التزاماتهما بخصوص ضمان حقوق الإنسان والحريات الأساسية لشعبيهما ويتضمن ذلك الالتزام بالتشاور السياسي والتعددية السياسية وتوفير حماية قوية للإعلام والحق في حرية التعبير.

إلا أن الفرص التي أتاحتها انفصال الدولتين قد فاتت دون أن يستفيد منها المواطنون العاديون في البلدين؛ فبدل أن يصلح السودان هياكل الحكم في البلد اتحد المتشددون في حزب المؤتمر الوطني الحاكم لإحباط هذه الجهود. من حسن الحظ أنه توجد في البلدين قوى ناشئة تنظر بطريقة نقدية لما يقوم به القادة في المركز ولديهم من الشجاعة والوطنية لتحدي هؤلاء القادة. وتبقى هذه القوى مصدر الأمل في المستقبل؛ وبالفعل تشق النقاشات المتعلقة بقضايا الديمقراطية والعدالة والحكم الرشيد طريقها ببطء، ويؤمل أن تتجسد هذه النقاشات الوطنية في التشريعات الخاصة بكلتا الدولتين.

من ناحية أخرى يعتمد البلدان من أجل البقاء على تطور علاقاتهما الدولية للحصول على الدعم سواء السياسي أو الاقتصادي وفي الوقت الحالي يأمل البلدان تطوير علاقات قوية مع الدول الإفريقية؛ ولكن الرفض الذي قوبل به طلب السودان للانضمام لمجموعة الشرق الإفريقي قد يدفع به للميل لكثير نحو العالم العربي. وتشكل مذكرة الاعتقال الصادرة ضد البشير ومسؤولين كبار في حكومته من طرف محكمة الجنايات الدولية عقبة أخرى تنضاف إلى هذه المشاكل التي حاولت هذه الورقة طرحها في سياقها الدولي والإفريقي وتأثيرها على المصالح الوطنية لكينيا.

انتهى

